

10669 - أفضلية النبي صلى الله عليه وسلم على سائر الخلق

السؤال

أعتقد موقنا بأن رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم هو أفضل الرسل عليهم السلام . فهل ورد في القرآن أو السنة ما يؤكد ذلك ؟ لقد ورد في آية قوله تعالى " لا نفرق بين أحد من رسله ... " وشكرا لك .

الإجابة المفصلة

أولا : قول الله تعالى : (لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ) البقرة/285 ، قال ابن كثير في تفسيرها :

المؤمنون يصدِّقون بجميع الأنبياء والرسل ، والكتب المُنزَّلة من السماء ، على عباد الله المرسلين والأنبياء لا يُفَرِّقون بين أحدٍ منهم ، فَيُؤْمِنُونَ بِبَعْضٍ وَيَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ، بل الجميع عندهم صادقون بآزون راشدون مهديون هادون إلى سبيل الخير ، وإن كان بعضهم يَنسَخُ شريعة بعض ، حتى نَسَخَ الجميع بشرع محمدٍ خاتم الأنبياء والمرسلين ، الذي تَقُومُ الساعة على شريعته . تفسير ابن كثير 1/736

أما تفاضل الأنبياء بعضهم على بعض فإن الله عز وجل أخبرنا بذلك فقال : (تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ) البقرة/253 ، فأخبرنا الله أن بعضهم فوق بعض درجات ولذلك كان المصطفى من الرسل هم ألو العزم قال تعالى : (وإذ أخذنا من النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقاً غَلِيظاً) الأحزاب/7 .

ومحمد صلى الله عليه وسلم أفضلهم ويَدُلُّ لذلك أنه إمامهم ليلة المعراج ، ولا يقدم إلا الأفضل ومما يدل على أنه أفضلهم ما جاء عن أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " أَنَا سَيِّدُ وَوَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ الْقَبْرُ وَأَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفِّعٍ " رواه مسلم (الفضائل /4223)

قال النووي في شرحه لصحيح مسلم قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (أَنَا سَيِّدُ وَوَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ الْقَبْرُ ، وَأَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفِّعٍ) قَالَ الْهَرَوِيُّ : السَّيِّدُ هُوَ الَّذِي يَفُوقُ قَوْمَهُ فِي الْخَيْرِ ، وَقَالَ غَيْرُهُ : هُوَ الَّذِي يُفَزَعُ إِلَيْهِ فِي النَّوَائِبِ وَالشَّدَائِدِ ، فَيَقُومُ بِأَمْرِهِمْ ، وَيَتَحَمَّلُ عَنْهُمْ مَكَارِهِمْ ، وَيَذْفَعُهَا عَنْهُمْ . وَأَمَّا قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (يَوْمَ الْقِيَامَةِ) مَعَ أَنَّهُ سَيِّدُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، فَسَبَبُ التَّفْهِيمِ أَنَّ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ يَظْهَرُ سُودُهُ لِكُلِّ أَحَدٍ ، وَلَا يَبْقَى مُتَارِعٌ ، وَلَا مُعَانِدٌ ، وَنَحْوَهُ ، بِخِلَافِ الدُّنْيَا فَقَدْ نَارَعَهُ ذَلِكَ فِيهَا مُلُوكُ الْكُفَّارِ وَرُعَمَاءُ الْمُشْرِكِينَ . قَالَ الْعُلَمَاءُ : وَقَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (أَنَا سَيِّدُ وَوَلَدِ آدَمَ) لَمْ يَقُلْهُ فَخْرًا ، بَلْ صَرَّحَ بِنَفْيِ الْفَخْرِ فِي غَيْرِ مُسْلِمٍ فِي الْحَدِيثِ الْمَشْهُورِ : (أَنَا سَيِّدُ وَوَلَدِ آدَمَ وَلَا فَخْرَ) وَإِنَّمَا قَالَهُ لِيُجَاهِلِينَ : أَحَدُهُمَا إِمْتِنَالُ قَوْلِهِ تَعَالَى : (وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ) وَالثَّانِي أَنَّهُ مِنَ الْبَيَانِ الَّذِي يَجِبُ عَلَيْهِ تَبْلِيغُهُ إِلَى أُمَّتِهِ لِيَعْرِفُوهُ ، وَيَعْتَقِدُوهُ ، وَيَعْمَلُوا بِمُفْتَضَاهُ ،

وَيُوقِّرُوهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَا تَفْتَضِي مَرْتَبَتُهُ كَمَا أَمَرَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى . وَهَذَا الْحَدِيثُ دَلِيلٌ لِتَفْضِيلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْخَلْقِ كُلِّهِمْ ؛ لِأَنَّ مَذْهَبَ أَهْلِ السُّنَّةِ أَنَّ الْأَدَمِيِّينَ أَي أَهْلَ الطَّاعَةِ وَالتَّقَى أَفْضَلُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ ، وَهُوَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَفْضَلُ الْأَدَمِيِّينَ وَغَيْرِهِمْ . وَأَمَّا الْحَدِيثُ الْآخَرُ : " لَا تُفْضَلُوا بَيْنَ الْأَنْبِيَاءِ " فَجَوَابُهُ مِنْ حَمْسَةِ أَوْجُهٍ : أَحَدُهَا أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَهُ قَبْلَ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّهُ سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ ، فَلَمَّا عَلِمَ أَخْبَرَ بِهِ . وَالثَّانِي قَالَهُ أَدْبًا وَتَوَاضَعًا . وَالثَّلَاثُ أَنَّ النَّهْيَ إِنَّمَا هُوَ عَنْ تَفْضِيلِ يُودِّي إِلَى تَنْقِيسِ الْمَفْضُولِ . وَالرَّابِعُ إِنَّمَا نَهَى عَنْ تَفْضِيلِ يُودِّي إِلَى الْخُصُومَةِ وَالْفِتْنَةِ كَمَا هُوَ الْمَشْهُورُ فِي سَبَبِ الْحَدِيثِ . وَالْحَامِسُ أَنَّ النَّهْيَ مُخْتَصٌّ بِالتَّفْضِيلِ فِي نَفْسِ الثُّبُوتِ ، فَلَا تَفَاضُلَ فِيهَا ، وَإِنَّمَا التَّفَاضُلُ بِالْخَصَائِصِ وَفَضَائِلِ أُخْرَى وَلَا بُدَّ مِنْ إِعْتِقَادِ التَّفْضِيلِ ، فَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : (تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ) وَاللَّهُ أَعْلَمُ . أَهـ

وخصائص النبي صلى الله عليه وسلم التي تؤكد أفضليته على باقي الرسل كثيرة نذكر بعضها منها مما جاء في الكتاب والسنة :

أن الله عز وجل خصَّ القرآن الكريم المُنزَّلَ عليه بالحفظ دون غيره من الكتب ، قال تعالى : (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) الحجر/9 ، أما الكتب الأخرى فقد وَكَّلَ اللهُ أمرَ حفظها إلى أهلها قال تعالى : (إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ) المائدة/44 .

أنه خاتم الأنبياء والمرسلين قال تعالى : (مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ) الأحزاب/40 .

اختصاصه بأنه أرسل إلى الناس عامة قال تعالى : (تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا) الفرقان/1 .

ومن خصائصه صلى الله عليه وسلم في الآخرة :

أنه صاحب المقام المحمود يوم القيامة قال تعالى : (وَمَنْ اللَّيْلُ فَتَهَجِدُ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا) الإسراء/79 ، قال ابن جرير : قال أكثر أهل التأويل : ذلك المقام الذي يقومه صلى الله عليه وسلم للشفاعة يوم القيامة للناس ، لِيُرِيحَهُمْ رَبُّهُمْ مِنْ عَظِيمٍ مَا هُمْ فِيهِ مِنْ شِدَّةِ ذَلِكَ الْيَوْمِ . تفسير ابن كثير 5/103

أنه سيد الخلق يوم القيامة ، وتقدم ذكر الحديث فيه .

أنه أول من يَجُوزُ الصُّرَاطَ بِأَمْتِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ فِي ذَلِكَ حَدِيثَ أَبِي هُرَيْرَةَ الطَّوِيلِ ، وَفِيهِ "....." فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يَجُوزُ مِنَ الرُّسُلِ بِأَمْتِهِ " (الأذان/764) . ومن الأدلة الواضحة على أنه أفضل الأنبياء أنهم كلهم لا يشفعون ،

ويحيل الواحد منهم الناس على الآخر، حتى يحيلهم عيسى على محمد صلى الله عليه وسلم، فيقول: أنا، ثمّ يتقدم فيشفع للجميع، فيحمده على ذلك الأولون والآخرون، والأنبياء وسائر الخلق.

وخصائصه عليه الصلاة والسلام التي وردت الآيات والأحاديث الصحيحة أكثر من أن نذكرها في مقام مُوجز، فقد أُلِّفَتْ فيها الكتب.

انظر كتاب خصائص المصطفى صلى الله عليه وسلم بين الغلو والجفاء للصادق بن محمد 33-79

والخلاصة: أننا نفضل نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم عن سائر الأنبياء والناس، للأدلة الواردة في ذلك، مع حفظنا لحقوق جميع الأنبياء والمرسلين والإيمان بهم وتوقيرهم. والله تعالى أعلم.